

رحيل المؤرخ الأستاذ الدكتور زكريا إبراهيم السنوار "رئيس تحرير مجلة المبادرة"

كلمة هيئة تحرير المجلة

لم ننتهياً لهذه اللحظة، التي ننعى فيها عالماً فذاً، نذر وقته، وجهده، وعلمه لخدمة دينه، ووطنه، وشعبه؛ العالم المؤرخ الأستاذ الدكتور زكريا إبراهيم السنوار (أبا يحيى) - أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بالجامعة الإسلامية بغزة-، ولكنها سُنّة الحياة، وإرادة الله، وهي نيل شرف الشهادة في سبيل الله، التي ختم الله له بها، يوم الخميس 24 ذو القعدة 1446هـ، الموافق 22 أيار (مايو) 2025م، متأثراً بإصابته قبل أيام، ليلتحق بأبنائه الشهداء، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً.

المؤرخ السنوار عالم جليل، انغمس في العلم حتى أخمص قدميه مقبلاً غير مدبر، كأنه يخوض عملاً فدائياً مستخدماً فيه عقله وقلمه، الذي فتش عن الوقائع العلمية من مصادرها الأصلية، فكانت الحقيقة العلمية هي هدفه، الذي سعى إليه من خلال محاضراته العلمية، وكتبه، وأبحاثه المنشورة في الجامعات والمراكز البحثية المحلية والعالمية، فكانت شاهداً على مقاومته للاحتلال الإسرائيلي، بسلاح العلم.

بدأ الأستاذ الدكتور السنوار عمله في دائرة العلاقات العامة بالجامعة الإسلامية، فكان قريباً من كل العاملين في الجامعة، ومتودداً لزوارها، والمشاركين في أنشطتها.

ومن البصمات الفريدة التي تُسجل له في محطة عمله تلك، والتي سبقت انتشار الإنترنت والمواقع الإلكترونية في سنوات التسعينيات؛ إرسال أخبار الصحف والمجلات اليومية، إلى الجهات المعنية في الجامعة للإفادة منها، وبذلك تكون كل أخبار الوطن فيما يخص التعليم والبحث العلمي والمجتمع وغيرها، من الأحداث المحلية والدولية، حاضرة باستمرار كقاعدة بيانات تُسهم في التخطيط وصناعة القرار.

لفت الباحث السنوار انتباه أساتذته في مرحلة دراسة الماجستير بجامعة الأقصى إلى نباهته، وحسّه الوطني، وانحيازه للحق الفلسطيني، وابتعاده عن المثالب الحزبية؛ وقد انعكس ذلك على رسالته المميزة بعنوان: "العمل الفدائي في قطاع غزة من 1967-1973".

أما زملاؤه فوجدوا فيه الأصالة والنقاء، والشفافية، وسمو الأخلاق، والتواضع، واحترامه لطلبته وزملائه، وحبّه للعلم؛ فحصل على جائزة بحثية مرموقة.

وكان لتكليف أبي يحيى، من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بدراسة المحتوى للمناهج المقررة في الجامعات الفلسطينية المتعلقة "بالثقافة الوطنية" و"تاريخ وجغرافية فلسطين" لتحديثها؛ من أجل تعزيز السردية والرواية التاريخية الفلسطينية، أثر نوعي ومهني مؤثر، في الوصول إلى نتائج وقرارات سديدة للفريق المكلف بإعداد المناهج.

ومن بين إنجازاته الاستراتيجية؛ مشروع الأرشفة الإلكترونية عام 2018، لمحتويات مركز التاريخ الشفوي والتراث الفلسطيني التابع للجامعة، مع ضمان سهولة استرجاعها، وتوفير حماية أمنية وقانونية للوثائق؛ ولولا هذا المشروع، لفقدنا هذا الكنز الثمين لكلية الآداب الذي تم جمعه على مدار أكثر من ثلاثين عامًا. وإذ كنا عرفناه من أبحاثه، فقد عرفناه أيضا من عيون طلابه ومريديه، الذين كانوا يتبارون في الحصول على موعد للقائه، ويتسابقون للفوز بموافقة للإشراف على رسائلهم العلمية. كما عرفناه من رسائل طلابه العلمية التي تميزت بالموضوعية والدقة العلمية التي أعجزت في كثير من الأحيان، المناقشين من زملائه. لقد تميز فقيدنا بقراءة ومراجعة كل كلمة، وتقديم الملاحظات للباحث، ملاحظات منهجية، ولغوية، وفنية. ومن بين الجوائز العلمية المميزة التي حصدها السنوار، حصوله على المركز الثالث عن عمل مشترك مع الأستاذة ربا الزهار، حمل عنوان: "العادات والتقاليد في دورة حياة الإنسان الفلسطيني قبل النكبة عام 1948"، في الجائزة العربية للتراث في دورتها الثانية للعام 2014م، التي تنظمها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو).

العمل مع المؤرخ السنوار شيق جدا، ومثال ذلك؛ العمل معه في مجلة المبادرة، إذ رحل ونحن نستعد لإطلاق العدد الخامس من المجلة، التي كتب منهجيتها ونظامها وشروط النشر بالكلمة، وعنده اهتمام وحرص على إجادة العمل في كل شي: عناوين الأبحاث ومادتها، والمحكمون المميزون، وبعد التحكيم يراجع الأبحاث كاملة علميا ولغويا، إضافة إلى حرصه الشديد على تجويد المجلة، وحصولها على مزيد من الاعتمادات الدولية.

ومع علمه الواسع، وتميزه، وبذله جهدا كبيرا، ورغم أنه رئيس التحرير، إلا أنه كان يشاور أعضاء التحرير ويناقشهم، ولم يتحيز لرأي، ولم يستبعد فكرة، إنما كان يتطلع للتقدم بالمجلة، وخدمة العلم والعلماء. وحتى الأيام الأخيرة من حياته، كان حريصا على عودة طلاب المدارس للتعليم؛ إذ أرسل أفكارا عملية لهيئة التحرير؛ لاستمرار التعليم لطلاب المدارس.

هذا بعض من مناقب فقيد فلسطين، العالم المؤرخ الأستاذ الدكتور/ زكريا السنوار. ومن واجبنا في مجلة المبادرة أن نحفظ إرثه، وأن نُعرّف بعلمه، وهذا سيكون إن شاء الله مستقبلا؛ فرحمه الله، وأسكنه جنته، برفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.